خصائص لغة الضّاد

.Antibody properties

د. عيسى العزري♥

تاريخ الاستلام: 03 / 02/ 2020 تاريخ القبول: 12-07-2020

ملخّص: اللّغة من أهمّ مميّزات الإنسان، وهي أفضل وسيلة للتواصل والتّعبير عن الاحتياجات الخاصّة بالفرد والجماعة بين أبناء البشريّة، ولها قيمة جوهريّة كبرى في حياة كل أمّة.

تعدّ اللغة العربيّة من أكثر اللغات تداولا بين النّاس في العالم، كما أنّها من أقدم اللغات الحيّة في الأرض، وتحتوي على ثمانيّة وعشرين حرفا، وتُكتب من اليمين إلى اليسار ومن أعلى إلى أسفل، إذ تدعى بلغة الضّاد، ومن أهم مميّزاتها:

1/ خصائص اللغة العربيّة من حيث الأصوات. 2/ الإعراب. 3/ الاشتقاق. 4/ صيغة التثنيّة. 5/ مرونة اللغة العربيّة. 6/ الميزان الصّرفي. 7/ اللغة العربيّة تعطي زمام أمورها لغيرها. 8/ لا خوف على العربيّة الفصحى. مع اعتماد المنهجين: الوصفي والتحليلي.

كلمات مفتاحيّة: اللغة؛ الاشتقاق؛ الإعراب؛ الميزان الصّرفي؛ الفصحى.

Abstract: Language is one of the most important characteristics of man, and it is the best way to communicate and express the specific needs of the individual and the group among the sons of mankind, and it has a great fundamental value in the life of every nation.

The Arabic language is one of the most widely spoken languages among people in the world, as it is one of the oldest

♥جامعة حسيبة بن بوعلي، الشّلف، الجزائر، البريد الإلكتروني: e.aissa@univhb-chlef.dz. (المؤلّف المرسل).

living languages on earth, and the Arabic language contains twenty-eight letters, and is written from right to left and from top to bottom, as it is called in the language of the daad, and one of its most important features:

1 / Characteristics of the Arabic language in terms of voices. 2 / Expression. 3/ Derivation. 4/ Deuteronomy formula. 5/ Flexibility of the Arabic language. 6/ the balance of morphology. 7/ The Arabic language gives control to others. 8/ No fear for classical Arabic. With the adoption of the two approaches: descriptive and analytical.

keywords: Language, derivation, syntax, morphological, formal.

1. مقدّمة: اللّغة من أهمّ مميّزات الإنسان، وهي أفضل وسيلة للتواصل والتّعبير عن الاحتياجات الخاصّة بالفرد والجماعة بين أبناء البشريّة، ولها قيمة جوهريّة كبرى في حياة كل أمّة.

تعدّ اللغة العربيّة من أكثر اللغات تداولا بين النّاس في العالم، كما أنّها من أقدم اللغات الحيّة في الأرض، وينتشرُ متحدّثوها في الدّول العربيّة الواقعة في قارة أفريقيا وآسيا وفي بعض الدّول التي تجاورُ دول الوطن العربيّ، وتحتوي اللغة العربيّة على ثمانيّة وعشرين حرفا، وتُكتب من اليمين إلى اليسار ومن أعلى إلى أسفل، إذ تُدعى بلغة الضّاد، وذلك لاحتوائها على حرف الضّاد الذي لا تملكُه أيّ لغة ثانيّة في العالم، وألفاظها أكثر جزالةً وقُدرةً على استيعاب المعاني الجليّة على الإطلاق. وهي لغة إنسانيّة حيّة تتميز بنظام صوتي وصرفي ونحوي وتركيبي، ولألفاظها مدلولات مختلفة.

وتكمن الإشكاليّة فيما يأتي: هل للغة العربيّة مميزات تتميز بها، وخصائص تختصّ بها عن سائر اللغات؟ هذا ما تجيب عنه الورقة البحثيّة، مع اعتماد المنهجين: الوصفي والتحليلي.

وما من لغة تستطيع أنْ تطاول اللغة العربيّة في شرفها؛ فهي الوحيدة التي اختيرت لتحمل رسالة الله النّهائيّة، وهي لغة خاتم الأنبياء والمرسلين الذي أرسله الله

للبشريّة جمعاء، واختار الله له اللغة العربيّة، وتُقَسَّم اللغة العربيّة إلى عدة مستويات ويتمتع كل مستوى منها بخصائص، وفي نفس الوقت أنّها كيان واحد لا يمكن الفصل بين مستوياته، فجميع مستوياته تتآزر في تحقيق مقاصد لغويّة، وتشكل بناء اللغة العام. للعربيّة خصائص كثيرة يضيق المجال عن حصرها.

2. خصائص اللغة العربيّة من حيث الأصوات (phonology):

ومن خصائص اللغة العربيّة الصّوتيّة انفرادها بحرف الضّاد، وهو الحرف الخامس عشر من حروف الهجاء، ويقول ابن جني: «واعلم أنّ الضّاد للعرب خاصّة ولا يوجد في كلام العجم إلا في القليل»[1].

1.2 حرف الضّاد: ومخرج الضّاد المعجمة عند سيبويه أنّها تخرج من أوّل حافة اللسان وما يليه من الأضراس من الجانب الأيسر عند الأكثر، ومن الأيمن عند الأقل[2]، وحرف الضّاد في اللغة العربيّة حرف دارَ حوله جدل كثير، ولا تكاد تجد في كتب الصّوتيات العربيّة أكثر إثارة للجدل من حرف الضّاد، ومن أجل ذلك سميت اللغة العربيّة بلغة الضّاد.

يتميز حرف الضّاد بصفات منها: الجهر، والرّخاوة، والإطباق، والاستعلاء والاستطالة، فالضّاد التي ذكر أوصافَها سيبويه صوت رخو لا ينحبس الصّوت في مخرجه، مجهور ينحبس معه الصّوت، مطبق، مستعل، تميز بالاستطالة التي ليست لشيء من الحروف فلم تدغم من الحروف المقاربة لها، إلاّ ما روي من إدغامها في الشّين في قوله تعالى: ﴿لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾ (النّور: 62)، وصُوِّغ ذلك ما في السّين من تفش يشبه الاستطالة يقربها من الضّاد، ومن ثَمَّ أدغمت اللام التاء والدّال والطّاء والثّاء والذّال والظّاء في الضّاد، ولم تدغم هي فيها[3]. والضّاد بهذه الصّفات التي ذكرها سيبويه صوت منفرد، ولهذا قال سيبويه: «لولا الإطباق...لخرجت الضّاد من الكلام؛ لأنّه ليس في موضعها شيء غيرها»[4] وبقي ما قاله سيبويّة نبراسا للعلماء الذين جاءوا بعده رغم اعتماده على الملاحظة البسيطة الموفَّقة.

ويقال عن حرف الضّاد: هي أصعب الحروف في النّطق ومن الحروف التي انفردت بها العرب بكثرة استعمالها، وهي قليلة في لغة بعض العجم ومفقودة في لغة الكثير منهم[5]، والقول بصعوبة الضّاد لم يكن موجودا في القرن الأوّل ولا في الثّاني

ولا في الثّالث ولا في الرّابع الهجري، ولكن بدأت بوادره في القرن الخامس الهجري يقول ابن مكي الصّقلي في القرن الخامس الهجري مشيرا إلى الخلط بين الصّوتين – أي الضّاد والظّاء– هذا رسم قد طُمِس، وأثر قد دُرِس من ألفاظ جميع النّاس خاصّتهم وعامّتهم، حتى لا تكاد ترى أحدا ينطق بضاد ولا يميزها عن ظاء...فأمّا العأمّة وأكثر الخاصّة فلا يفرقون بينهما في كتاب ولا قرآن[6]، وكان هذا لبعدهم عن الممارسة والمواظبة على نطقه بالكيفيّة السّليمة.

ونجد عبد الوهاب القرطبي (ت461هـ) لم ينص عند تحديده لمخرج الضّاد عن أي صعوبة في نطقها، قال: «ومن أول حافة اللسان، وما يليها من الأضراس مخرج الضّاد، وإنْ شئت أخرجتها من الجانب الأيمن، وإن شئت أخرجتها من الجانب الأيسر »[7]، ويعلّق على قوله: «إن شئت» فيه دلالة على أنّ الضّاد بالتدريب والممارسة يسهل التلفظ بها من أي جانب أو من الجانبين معا، وقيل الضّاد بالممارسة، وقيل لا ينقاد خروج الضّاد لكل أحد إلاّ لصاحب اللسان الفصيح القيم بالفصاحة، وأين نجد هذا اللسان القيم بالفصاحة في عصرنا[8]؟ هذه التفاتة طيبة من صاحب رسالة الضّاد على أهميّة الممارسة، وحثت عليها اللسانيات التطبيقيّة في هذا العصر.

والحقيقة أنّ الضّاد لا صعوبة ولا مشقة في نطقها من متمرس للإقراء والتعليم ولكن في أي وقت تكون الضّاد أصعب المخارج على القارئ؟ والجواب أنَّ الصّعوبة تكون من المبتدئ القراءة العامي، وغير العربي، نعم هؤلاء تكون الضّاد في حقّهم أصعب وأعسر الحروف في النّطق على الإطلاق، ويلحق بهؤلاء عوام العرب في الوقت المعاصر، والسّبب في ذلك أنّ علماء الأصوات قالوا: والضّاد مجهور مزدوج وقد تكتمل شدته في بعض البلاد العربيّة، فيصبح كالدّال المفخمة، كما قد تكتمل رخاوته في نطق البعض الآخر، فيصبح كالزّاي المفخمة [9]، إنّ العاميّات المعاصرة العربيّة لا يوجد في نطقها ضاد عربيّة فصيحة، بل تطورت وصارت مفخم الدّال.

وفي القرن الرّابع الهجري بدأ الأمر يأخذ منحى آخر، حيث بدأ الانحراف في النّطق بالضّاد وخاصّة التباسها بصوت الظّاء؛ ممّا دفع العلماء يؤلّفون الكتب في التفريق بين الضّاد والظّاء، وقد أحصى حاتم الضّامن في تحقيقه لكتاب الإمام محمّد

بن مالك –رحمه الله–(الاعتماد في نظائر الظّاء والضّاد) تسعة وثلاثين تصنيفا في ذلك، ما بين كتاب ورسالة ومنظومة[10]، فكل هذه المصنفات تعالج مسألة كتابة الضّاد والظّاء، ولا تتعرض للجانب الصّوتي لهما.

ومن الحروف التي انفردت بها العربيّة ما يذكره السّيوطي أنّ الأعاجم ينطقون حرف الطّاء تاء؛ لأنّهم يفقدون الطّاء في لسانهم نحو: "تال" في "طال"[11]، ومن تلك الحروف المفقودة في لسانهم حرف "الحاء" فتنطق هاء في نحو: "حليمة" تنطق "هليمة"، أو همزة في نحو: حكيم تنطق "أكيم"، وكذا حرف "العين": تنطق "همزة" في مثل: عيسى وعائشة تنطقان: أيسى وأيشة. والملاحظ أنّ الأجنبي عندما يقرب يده من المدفأة يحترق، يقول: (أحْ) في اللاشعور، ولكن لا ينطقها في حالة شعوره.

3. رمزيّة الحرف العربي ودلالته: ومن المميزات التي ينفرد بها الحرف العربي أنّه بذاته له رمزيّة ودلالة ومعنى، فحرف "الحاء" يرمز للحدة والسّخونة، مثل: حمى وحرارة، وحُبّ، وحريق، وحقد، وحميم، وحنظل، وحرام وحرير وحنان وحكة وحاد وحق، بينما نجد حرفا آخر مثل الخاء يرمز إلى كل ما هو كَريه وسيئ ومنفر ويدخل في كلمات مثل: خوف، وخزي، وخجل، وخيانة، وخلاعة، وخنوثة، وخذلان، وخنزير وخنفس، وخرقة، وخلط، وخبط، وخرف، وخسة، وخسيس، وخم، وخلع، وخواء، ونرى الطّفل إذا لمس النّار قال: "أحْ"، ونرى الكبير إذا اكتشف أنّه نسي أمرا مهما يقول: "أخ"؛ فالنّسيان أمر سيئ، وهذه الرّمزيّة الخاصّة بالحرف والتي تجعله بمفرده ذا معنى هي خاصيّة ينفرد بها الحرف العربي. ولذا نجد سور القرآن أحيانا تبدأ بحرف واحد مثل: ص، وق، ون، أو، ألم.. وكأنّما ذلك الحرف بذاته يعني شيئا[12].

ومن دلالة الحروف أيضا أنّ حرف "الحاء" إذا وقع في آخر الكلمة دل على الظّهور والتفرق والامتداد، نحو: باح بالسّر، وساح الماء، وصاح الرّجل، وفاح العطر، ولاح القمر. وحرف الشّين إذا وقع في أوّل الكلمة دلّ على التفريق، نحو: شتّتَ جمعهم، وشطر الشّيء، وشاع الخبر، وشق الثّوب. وإذا جاء في أوّل الكلمة دلّ على الظّلمة والاستتار، نحو: غابت الشّمس، وغاص في الماء، وغمره الماء، وغسق الليل، وغلّف الكتاب، وغرق العدو. وحرف "الفاء" يكون بمعنى الانفتاح أو الفتح نحو: فض الرّسالة، وفل الحديد، وفلق الصّخرة، وفلح الأرض، وفلج الخشب. وحرف

"الميم" يدل على الانغلاق والضّمنيّة، نحو: مصّ، وشمّ، ولمّ، وطمّ، وجمع[13]. ومِن سمات اللغة العربيّة دلالة الحروف على المعاني من سعة اللغة العربيّة وخصائصها العجيبة التي خصها بها سبحانه وتعالى.

1.3 المنطقيّة العقليّة في تراكيب اللغة العربيّة: اللغة العربيّة كائن حي يولد ويموت، تبعا لمقتضيات الحضارة وحاجات المجتمع، ونأخذ مثلا يظهر فيه المنطق العلمي في اللغة العربيّة القائم على الدّليل العلمي تقول: جمدت المياه وتخثرت الدّماء، ويسأل الإنسان نفسه لماذا لا نقول: جمدت الدّماء؟ والجواب عن هذا السّؤال يكمن في أنّ المياه إذا جمدت وأعدتها إلى الحرارة سالت من جديد، بينما لا يسيل الدّم بعد أن يتجمّد مهما حاولت في ذلك محاولة، لأنّه يخسر من نوعيته (Qualitative chance)، ونظرا إلى هذا الملحظ العلمي الكيميائي الدّقيق أفردت العربيّة مفردتين لكلتا الحالتين[14]. وهذا يدل على دقة اللغة العربيّة لكل مفردة معنى تؤديه.

أمّا صفات الحرف العربي فتظهر دلالة كل حرف، ومِن ذلك يلاحظ حرف "السّين" (س) الذي يشبه "الصّاد" (ص)، فلنفكر لماذا نقول: صورة فتوغرافيّة وسورة قرآنيّة؟ والجواب عن ذلك في أنّ "الصّاد" (ص) حرف بارز مسموع يُظهر لك ملامح صورة تدركها بالعين اللحميّة الحاسة، بينما ترى السّين حرفا خفيا مهموسا لا يُظهر لك الملامح بقدر ما يرسم المعاني التي تدركها بالبصيرة، ولذلك تقول: صَعَد المتسابق الجبل، وسعد فلان في حياته الزّوجيّة، وكلتا اللفظتين تعنيان العلو، ومنها أيضا "صَرَّ" وتعني لَفَّ الشّيء وخبأه، و"سرَّ" أي خبأ السّر عند أحدهم. وكذلك "صدَّ" الهجوم و"سدَّ" جوعته –كأنّه دفع الجوع عنه–وأيضا "صبغ" ماديا و"سبغ" معنويا[15]. هذا من سعة العربيّة لا تضيق بالتكرار وتمتاز بمنطقها السّليم وسحرها الفريد، وقد بلغت اللغة العربيّة بفضل القرآن من الاتساع مدى لا تكاد تبلغه أي لغة من لغات العالم، وهي أكثر مرونة وخلودا.

4. **الإعراب:** وكلمة "إعراب" مصدر للفعل "أعرب" أي إذا أوضح، وفلان معرِب عمّا في نفسه أي مبين، يعتبرُ الإعراب من أقوى عناصر اللغة العربيّة، وأقوى

خصائصها، وهو عبارة عن تغيير الحالة النّحويّة للكلمة بعد تغيّر العوامل التي تدخل عليها، وهو عبارة عن المجعول آخر الكلمة مبينا للمعنى الحادث فيها بالتركيب مِن حركة أو سكون أو ما يقوم مقامه، ويقول ابن جني في كتابه الخصائص: «الإعراب هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ، ألا ترى أنّك إذا سمعت "أكرم سعيد أباه"، "وشكر سعيدا أبواه"، علمت برفع أحدهما ونصب الآخر»[16]، ويؤكد محمود عكاشة حقيقة الإعراب هو موضوع للإبانة عن وظائف مفردات التركيب، أو بيان منزلتها منه، وهو صوت يصحب آخر الكلمة المعربة في الكلام المنطوق ورمز أضيف إلى الحرف المنطوق[17].

1.4 آثار العوامل: ومن أسباب دخول الإعراب في الكلام أنّ الأسماء لما كانت تصورها المعاني، وقد تكون فاعلة ومفعولة ومضافة ومضافا إليه، ولم يكن في صورها وأبنيتها أدلة على هذه المعاني بل كانت مشتركة، جُعِلَتْ حركات فيها تنبئ عن هذه المعاني، فقالوا: "ضرب زيدٌ عمرًا"فدلوا برفع "زيد" على أنّ الفعل له، وينصب "عمرو" على أنّ الفعل واقع به. وقالوا ضُرِب زيدٌ، فدلوا بتغيير أوّل الفعل ورفع زيد على أنّ الفعل ما لم يسمَّ فاعله، وأنّ المفعول قد ناب منابه. وقالوا هذا غلامُ زيد فدلوا بخفض زيد على إضافة الغلام إليه، وكذلك سائر المعاني جعلوا هذه الحركات دلائل عليها ليتسعوا في كلامهم، ويقدموا الفاعل إنْ أرادوا ذلك أو المفعول عند الحاجة إلى تقديمه، وتكون الحركات دالة على المعاني[18].

والإعراب خاص بالتراكيب، أمّا الكلمة قبل التركيب لا معربة ولا مبنيّة، ولا تتخذ علأمّة تظهر وظيفتها ودلالتها إلا إذا تعاقبت مع غيرها من الكلمات، عند ذلك تلتزم كل كلمة علأمّة تتوافق ووظيفتها في السّياق؛ لأنّ الإعراب هو الفارق بين المعاني فقالوا: «ألا ترى أنّ القائل إذا قال: "ما أحسن زيد" لم يُفرق بين التعجب والاستفهام والنّفي إلا الإعراب»[19]. ويعدُّ علماء النّحو تعاقب العلامات الإعرابيّة على آخر الكلمة المعربة أثرا من آثار العامل، يقول سيبويه: «إنما ذكرت لك ثمانيّة مجار لأفرّق بين ما يدخله ضرب من هذه الأربعة لما يحدث فيه العامل ـ وليس شيء منها إلاّ وهو يزول عنها ـ وبين ما يبنى عليه الحرف بناء لا يزول عنه لغير شيء أحدث ذلك فيه من العامل ...» [20]. وهذا ما يؤكده علماء النّحو أنّ العامل هو المؤثر في

الألفاظ، وعن هذا التأثير تنشأ علأمّة إعرابيّة ترمز إلى المعنى الخاص الذي يكتسبه اللفظ من دخول العامل، ومِن ترتيب هذا اللفظ في السّياق الكلامي، فقالوا: «العامل هو ما يؤثر في اللفظ تأثيرا ينشأ عنه علأمّة إعرابيّة ترمز إلى معنى خاص كالفاعليّة أو المفعوليّة أو غيرها، ولا فرق أن تكون تلك العلأمّة ظاهرة أو مقدّرة» [21].

2.4 أقسام العوامل: استنبط النّحاة بعد استقراء كلام العرب أنّ العامل يكون لفظيا ومعنويا.

1.2.4 واللفظي هو ما يظهر في النّطق والكتابة، وهو ثلاثة أنواع[22]:

أ/ **أصلي:** ولا يمكن الاستغناء عنه، وإلاّ فَسُد المعنى المقصود من الجملة، ومن أمثلته: الفعل، وأدوات النّصب، والجزم، وحروف الجر.

ب/ **زائد:** وهو يمكن الاستغناء عنه مِن غير أنْ يترتب –في الأغلب–على حذفه فساد المعنى المقصود، نحو: حروف الجر الزّائدة.

ت/ شبيه بالزّائد: وهو الذي يؤدي معنى جديدا خاصا ولا يمكن الاستغناء عنه وينحصر في بعض حروف الجر التي لا تحتاج إلى متعلّق.

3.4 العامل المعنوي: وأمّا العامل المعنوي[23] فينحصر في شيئين هما الابتداء الذي يرتفع به المبتدأ، ورافع الفعل المضارع، وهو وقوعه موقعا يصلح للاسم، ولم تسلم هذه العوامل من خلاف بين النّحاة، فمنها العامل القوي المتمثل في اللفظي ومنها العامل الضّعيف المتمثل في العامل المعنوي.

4.4 سبب مجيء الإعراب في آخر الكلمة: والإعراب مظهر تركيبي في توزيع الوظائف اللغويّة، أو المعاني النّحويّة ومحلّه آخر الكلمة أو ما نزل منزلته وعُرِف النّحويون بربط الأسباب بالمسببات، وبدقّة التعليل للآراء النّحويّة، ومن تعليلاتهم مجيء الإعراب في آخر الكلمة دون أوائلها وأوساطها تبريرا علميّا دقيقا جاء في الإيضاح في علل النّحو: «لمْ يُجْعَل الإعراب أوّلا؛ لأنّ الأوّل تلزمه الحركة ضرورة الابتداء، لأنّه لا يُبْتدأ إلا بمتحرك، ولا يُوقف إلّا على ساكن، فلمّا كانت الحركة تلزمه لم تدخل عليه حركة الإعراب؛ لأنّ الحركتين لا تجتمعان في حرف واحد، فلمّا فات وقوعه أوّلا لم يُمكن أنْ يُجعل وسطا؛ لأنّ أوساط الأسماء مختلفة؛

لأنها تكون ثلاثيّة، ورباعيّة، وخماسيّة، وسداسيّة، وسباعيّة، فأوساطها مختلفة، فلمّا كانت كذلك جعل آخرا بعد كمال الاسم ببنائه وحركاته»[24].

5.4 أنواع الإعراب[25]: الإعراب أثر ظاهر أو مقدّر يجلبه العامل في آخر الاسم المعرب، وهذا ما يسمى بالعلامات الإعرابيّة، وهي أربعة: رفع، ونصب، وجر وجزم. فالرّفع والنّصب يشترك فيهما الاسم والفعل، والجر يختص بالأسماء، والجزم يختصّ بالأفعال. والإعراب مظهرٌ من مظاهر التركيب في اللغة العربيّة، وقد ربط اللغويون والنّحاة العرب بين الإعراب والمعنى النّحوي، فاقترنت المعاني النّحويّة بالعلأمّة الإعرابيّة.

6.4 علامات الإعراب الأصليّة: أنواع الرّفع في الاسم ثلاثة: رفع، ونصب وجر لا رابع لها؛ لأنّ المعاني التي جيء بها في الاسم لبيانها بالإعراب ثلاثة أجناس: معنى وهو عمدة في الكلام، لا يستغنى عنه، كالفاعليّة، وله الرّفع. ومعنى هو فضلة، يتم الكلام بدونه، كالمفعوليّة، وله النّصب. ومعنى هو بين العمدة والفضلة، وهو المضاف إليه، نحو: غلام زيد، وله الجر؛ لأنّه لا يكون إلّا للإضافة والأفعال لا تقبلها؛ لأنّ الإضافة إخبار في المعنى، والفعل لا يصح أنْ يُخبرَ عنه أصلا، فلمّا لم يعرب بالجر عوّض عنه بالجزم. فالرّفع بضمة نحو: المجدُّ يقومُ مبكّرا، والنّصب بفتحة نحو: لنْ يظلمَ الأبُ أولادَه، والجر بكسرة نحو: مررتُ بمحمّد والجزم بسكون نحو: لم يضيِّعْ الأمينُ الودائعَ، كما يطلق عليها الأصليّة.

يقول ابن مالك في ألفيته[26]:

والرّفــعَ والنّصْــبَ اجْعَلَــنْ إعْــرَابَا ... لاسْـم وَفِعْـلٍ نَحْـوُ لَـنْ أَهَــابَا

والاسْــمُ قَــدْ خُصَّــصَ بــالجَرِّ كَمَــا ... قَــدْ خُصَّــصَ الفِعْــلُ بِــأَنْ

7.4 علامات الإعراب الفرعيّة:

1.7.4علامات الإعراب الفرعيّة في الأسماء[27]:

أ/ الواو: علأمّة رفع في جمع المذكر السّالم، والأسماء السّتة، والأدلة على الترتيب، في قوله تعالى: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظّالِمُونَ﴾ البقرة: 254، و﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ البقرة: 105.

ب/ الألف: علامّة رفع في المثنى، وعلامّة نصب في الأسماء السّتة، والأدلة على الترتيب، في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الذينَ يَخَافُونَ ﴾ المائدة: 23، و﴿مَا كَانَ محمّد أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ ﴾ الأحزاب: 40.

ت/ الياء: علامّة جر في الأسماء السّتة، وعلامّة نصب، وجر في جمع المذكر السّالم، والمثنى. والأدلة على الترتيب، كقوله تعالى:﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ الحجرات: 14، و﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ﴾ البقرة: 282، و﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ التوبة:30 و﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾ البقرة: 223 .

ث/ الفتحة نيابة عن الكسرة: علامّة جر في الممنوع من الصّرف في قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ آل عمران: 12.

ج/ الكسرة نيابة عن الفتحة: علامّة نصب في جمع المؤنّث السّالم في قوله تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرّبَا وَيُرْبِي الصّدَقَاتِ ﴾ البقرة: 276.

2.7.4. علامات الإعراب الفرعيّة في الأفعال[28]: للأفعال علامتان فرعيتان

أ/ ثبوت النّون: علامّة رفع في الأفعال الخمسة، وحذف النّون: علامّة نصب وجزم فيها. والأدلة على الترتيب في قوله تعالى: ﴿أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ النّساء: 20، و﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ البقرة : 24، و﴿فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾ النّساء: 20.

ب/ الجزم في الفعل المعتل الآخر في قوله تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ الفيل: 01.

هذه العلامات الفرعيّة تقوم بالنّيابة عن العلامات الأصليّة في الإعراب.

5. الاشتقاق: وقد بدأ الاشتقاق كمبحث مِن مباحث علم الصّرف، ثم تطور حتى صار لأهميته علما من علوم العربيّة مستقلا بذاته، وإذا كان علم النّحو والصّرف قد وُضِعا عصمة للسان من اللحن والخطأ في الكلام والقراءة، فإنّ الاشتقاق يقوم بدور إثراء اللغة وجعلها قادرة دائما على التجدد والتقدم، ومسايرة تطور الحياة وارتقاء

الحضارة، وذلك بما يُزوّد اللغة، ويمدّها به دائما من أسماء وأفعال حديثة لمسمّيات حديثة، عن طريق التوليد والنّحت ووجوه القلب والإبدال[29] وتتميّز لغتنا العربيّة بخاصيّة الاشتقاق (Dérivation)، وللاشتقاق موضع اهتمام في اللغة العربيّة في معظم المؤَلَّفات والدّراسات اللغويّة قديما وحديثا، حيث أفردت له مصنفات خاصّة أمثال الأصمعي (ت 218هـ)، وابن السّراج (ت 316هـ)، وابن دريد (ت 321هـ) من القدامى، وعبد الله أمين من المُحْدَثين، إذْ شَكَّل هؤلاء المدرسة الاشتقاقيّة. والاشتقاق، الذي يعدّ من الخصائص النّادرة في اللغة العربيّة، ويقصدُ به اقتطاع فرع من أصل، وأخذ صيغة من صيغة، وشيء من شيء، ولفظ من لفظ، كما أنّه يعتبرُ المادّة الأصليّة التي تتفرع منها فروع المعاني والكلمة.

ومن تعريفاته: «نزع لفظ من آخر بشرط تناسبهما معنى وتركيبا، وتغايرهما في الصّيغة بحرف أو حركة. وأنْ يزيد المشتق على المشتق منه بشيء كضَارِب أو مَضْرُوب يوافق ضَرْبًا في جميع ذلك، فلا يقال: ذِئْبُ من سَرْحان؛ لفقد المعنى الزّائد»[30]. فعلى سبيل المثال تَشْتق من الجذر (كَتَبَ) أبنيّة متعدّدة (كَاتِب و(مَكْتُوب) و(كِتَاب)، و(مَكْتَبَة)، و(كُتُب) بمعان متقاربة متصلة بفكرة (الكتابة).

والملاحظ أنّ معظم اللغويين اهتموا بالاشتقاق وأنواعه، ووسموا العربيّة بأنّها لغة اشتقاقيّة[31]؛ لقابليتها على توليد الأبنيّة المتنوعة بدلالات مختلفة لتلك الصّيغ وهذا دليل قوي يُثبت قوة اللغة العربيّة وجدارتها بالدّراسة، يقول (بيار جيرو Pierre Guirraud): «تبقى العلّة الاشتقاقيّة مصدرا من مصادر القوة الإبداعيّة في اللغة»[32]؛ لأنَّ الاشتقاق وسيلة من وسائل إثراء المعجم بالمفردات، هذه شهادة الأجنبي على مرتبة اللغة العربيّة وتراثها المميَّز.

1.5 أنواع الاشتقاق: الاشتقاق باعتباره في الأغلب أخذ كلمة من كلمة أو أكثر مع تناسب بينهما في اللفظ والمعنى، أمّا الصّرفيون فالمشتقات عندهم هي السّبعة المعروفة المتمثلة في اسم الفاعل واسم المفعول والصّفة المشبهة وأفعل التفضيل واسم الزّمان والمكان والآلة. أمّا اللغويون فالاشتقاق عندهم أوسع؛ لأنّهم يشتقون من أسماء الأعيان كما يقولون في بعض الجوامد إنها مشتقة كالخيل من (الخيلاء)، والإنسان من (الإنس) أو (النّسيان)[33]. والاشتقاق على إطلاقه ينقسم إلى عدة أقسام، وقد

سماها كل باحث حسبما رآه مناسبا له؛ لأنّهم رأوا أنّ التناسب بين المأخوذ والمأخوذ عنه، إمّا أنْ يكون في اللفظ والمعنى جميعا مع ترتيب الحروف فيها، وإمّا أنْ يكون ذلك التناسب في اللفظ والمعنى جميعا مع عدم الترتيب في الحروف الأصول، وإمّا أنْ يكون في المعنى وحده ويكون مع ذلك أكثر حروفهما من نوع واحد وباقيها من مخرج واحد أو من مخرجين متقابلين.

وهذه الأقسام هي:

1.1.5.الاشتقاق الصّغير: اتفقت آراء علماء اللغة قديما وحديثا على أنّ الاشتقاق الصّغير هو انتزاع كلمة من أخرى؛ وذلك بتغيير في الصّيغة مع تشابه بينهما في المعنى، واتفاق في الأحرف الأصليّة وفي ترتيبها. فابن جني يجعل الاشتقاق ضربين: صغير وكبير، ويعني الاشتقاق الصّغير: ذلك الاشتقاق الذي ينحصر في مادة واحدة، تحتفظ بترتيب حروفها، فيقول: «وذلك أنّ الاشتقاق عندي على ضربين: صغير وكبير، فالصّغير ما في أيدي النّاس وكتبهم؛ كأن تأخذ أصلا من الأصول فتتقراه، فتجمع بين معانيه، وإنْ اختلفت صيغه ومبانيه، وذلك كترتيب (س ل م) فإنك تأخذ منه معنى في تصرفه، نحو: سلم، ويسلم، وسالم، وسلمان وسلمى، والسّلأمّة، والسّليم: اللديغ. أطلق عليه تفاؤلا بالسّلأمّة. وعلى ذلك بقيّة الباب إذا تأولته، وبقيّة الأصول غيره؛ كترتيب (ض ر ب) و(ج ل س) على ما في أيدي النّاس من ذلك، فهذا هو الاشتقاق الأصغر»[34]. وهذا النّوع أكثر أنواع الاشتقاق استعمالا، وهو الذي يُعنَى به الصّرفيون.

2.1.5 الاشتقاق الكبير: ويطلق عليه ابن جني بالاشتقاق الأكبر، وهو عند المحدثين يعتمد على الاشتراك في الحروف الثّلاثة بغض النّظر عن مواقع هذه الحروف وترتيبها، ويمثل له عادة بالتقاليب الآتيّة وما يتفرع منها: (ر ك ب)، (ق ول)، (ج ب ر)، (س ل م)، (ن ج د) [35]، إنّنا بواسطة تقليب مادة من مواد اللغة العربيّة نحصل على معان جديدة، ومفردات لها دلالتها ومقصودها، وهو برهان واضح على أنّ الاشتقاق الكبير وسيلة من وسائل تنميّة اللغة العربيّة.

3.1.5 الاشتقاق الأكبر: الاشتقاق الأكبر هو ارتباط بعض المجموعات الصّوتيّة ببعض المعاني ارتباطا عاما غير مقيد بالأصوات نفسها، بل بترتيبها الأصلي والنّوع الذي تندرج تحته، ومتى وردت إحدى تلك المجموعات الصّوتيّة على ترتيبها الأصلي، فلا بد أنْ تفيد الرّابطة المعنويّة المشتركة، سواء احتفظت بأصواتها نفسها، أم استعاضت عن هذه الأصوات، أو بعضها بحروف أخرى تقارب مخرجها الصّوتي أو تتحد معها في جميع الصّفات، وضمن الأمثلة التي أوردها ابن جني: «وهو أن تتقارب الحروف لتقارب المعاني وهذا باب واسع، ومن ذلك قوله الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ (مريم: 83) أي تزعجهم وتقلقكم. فهذا في معنى تهزُّهم هزًّا، والهمزة أخت الهاء؛ فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين. وكأنّهم خصوا هذا المعنى بالهمزة؛ لأنّها أقوى من الهاء، وهذا المعنى أعظم في النّفوس من الهزّ؛ لأنّك قد تهز ما بال له؛ كالجذع وساق الشّجرة ونحو ذلك»[36]، والاشتقاق من أهم القضايا اللغويّة لصون اللغة العربيّة عن العجز.

4.1.5 الاشتقاق الكبار[37]**، أو النّحت:** وقد تكلّم العلماء على نوع آخر من الاشتقاق، وإنْ لم يكن بأخذ لمة من أخرى، وإنّما بأخذها من كلمتين أو أكثر مع تناسب بين المأخوذ والمأخوذ منه في اللفظ والمعنى معا، وهو أن تشتق كلمة واحدة من كلمتين أو أكثر تدل على المعنى نفسه الموجود في الكلمتين أو الجمل المشتق منها، ويسمى هذا: (النّحت)

والنّحت أنواع ثلاثة هي:

أ/ النّحت الفعلي: وهو أن تشتق من الجملة فعلًا يؤدي معنى الجملة مثل: بسمل وحمدل وحوقل من: بسم الله الرّحمن الرّحيم، الحمد لله رب العالمين. لا حول ولا قوّة إلاّ بالله.

ب/ النّحت الاسمي: وهو أن تنحت من الجملة اسمًا يؤدّي معناها، مثل: جلمدٌ. منحوتة من: جلد وجمد.

ت/ النّحت النّسبي: وهو أن تشتق من الكلمتين، أو الجملة شيئًا تنسب إليه ويسمى في باب الصّرف: باب النّسب مثل: عَبْشَمِيٌّ، منحوتة من: عبد شمس وعَبْدَرِيٌّ منحوتة من: عبد الدّار، والنّحت سماعي لم يرد منه إلاّ ألفاظ معدودة.

والاشتقاق من أهم مميزات اللغة العربيّة، وسيمة بارزة سماتها، ويصون اللغة العربيّة من العجز ووسيلة من وسائل إثراء المعجم بالمفردات.

6. صيغة التثنيّة: من خصائص لغتنا العربيّة التثنيّة التي تختصّ بها دون غيرها من اللغات، وممّا يلفت نظر الدّارس في هذا المجال أنَّ في العربيّة إفرادا وتثنيّة وجمعا، أمّا في اللغة الإنكليزيّة والفرنسيّة فيوجد الإفراد والجمع، وتوجد التثنيّة التي يتوصّل إليها باستعمال العدد (two، deux) قبل المعدود.

ووجود التثنيّة في اللغة العربيّة هو وجه الاختلاف في فصيلة العدد بينها، وبين ما نأخذه من اللغات الهندوأوربيّة ميدانا للتقابل: كالفرنسيّة والإنكليزيّة والفارسيّة، فكلّها لا مثنى فيها، يقول فندريس مفصلا القول في اللغات التي بها مثنى والتي لا يوجد بها فمن اللغات ما كان فيها أو ما يزال فيها مثنى. والهنديّة الأوربيّة كان فيها مثنى وأبقى عليه الزّمن التاريخي فترة طويلة أو قصيرة على حسب اللغات، ثمّ أُبْعد عنها جميعا تقريبا شيئا فشيئا، وربّما أخذ بعض اللغويّين المحدثين وجود المثنى في اللغة دليلا على تخلفها، إذ يرون أنّ اللغات عندما ترتقي تتخلّص من ظاهرة المثنى، وهذا دليل على المدنيّة، والاحتفاظ بالمثنى يبدو كما لو كان دليلا على حضارة متأخرة، واختفاؤه على العكس من ذلك يدل على تقدّم الحضارة. والحقيقة أنّ هذا القول بعيد عن الصّواب، ولا يحمل أي دليل على صحته؛ لأنّ الشّياع والتعميم –بمعنى وضع المثنى والجمع في طبقة واحدة وعدم الفصل بينهما–ليس من تقدم التفكير ولا المدنيّة في شيء، بل أنّ الدّقة في التقنين وعدم المساواة بين الاثنين والثّلاثة هو من المدنيّة والتقدّم الفكري والحضاري، فالمثنى غير الجمع، وما كان لاثنين غير ما يكون لثلاثة [38]. وهذا دليل على دقة اللغة العربيّة وإنصاف قواعدها وضوابطها حيث نفرق بين المفرد والمثنى والجمع والابتعاد عن العشوائيّة.

إنّ ظاهرة المثنى في اللغة العربيّة لها شواهد كثيرة في حياتنا العمليّة تؤيد لزومها كاليدين والرّجلين والعينين والليل والنّهار والسّماء والأرض والذّكر والأنثى والجنة والنّار، وهذا دليل على دقة التعبير الحضاري وعدم الشّيوع. وهناك عاملان ساعدا على بقاء صيغة التثنيّة في اللغة العربيّة وهما:

1.6 استعمال القرآن الكريم لهذه الصّيغة فمنحها القوّة حتى تعيش.

2.6 التقدير والاحترام اللذان اكتسبتهما العربيّة حيث أنّها لغة القرآن الكريم والعرب الفاتحين، فأعطاها شيئا من التقديس فلم تتعاور عليها مظاهر التطور اللغوي [39]. فهذه لفتة طيبة على تكريم القرآن الكريم للغة العربيّة. وإنّ لغتنا العربيّة تميل إلى الدّقة والتقنين لذلك وجد المثنى، هل تقول إنّ اللغة التي تسوّي بين الاثنين والثّلاثة هي اللغة المتمدنة الدّقيقة، اللغة التي تميل إلى الشّياع والتعميم، أو تقول إنّ اللغة الحضاريّة هي التي تقول هذان اثنان وهؤلاء ثلاثة؟[40]، هذا شأن لغتنا العربيّة التي تمتاز بدقتها وبعدها عن العشوائيّة.

7. مرونة اللغة العربيّة: اللغة العربيّة لغة عظيمة فهي إلهاميّة ليست اصطلاحيّة من صنع البشر، ومن مرونتها تعدّيّة الفعل اللازم إلى متعدّ، والأفعال أبنيّة صرفيّة تدل على تقييد الحدث الذي اشتقت منه بزمن معين، وقد قسّمها العلماء إلى أفعال لازمة وأخرى متعدّيّة، واللزوم والتعدّي مصطلحان صرفيان تركيبيان فالبنيّة الصّرفيّة لها علاقة بالتركيب النّحوي؛ لأنّ الصّرف يدرس بنيّة الأفعال وتغيير حركاتها وأصالة الحروف وزيادتها، وأثر ذلك كله في التركيب النّحوي الذي يدرس العلاقات السّياقيّة، فليس للنحو مِنَ المباني إلّا ما يقدّمه له الصّرف، إنّ تحديد البنيّة الصّرفيّة للفعل يعدّ أمرا ضروريا؛ لأنّه لا يمكن الرّبط بين الفعل ومعناه إلاّ إذا عرفت بنيته الصّرفيّة، ومنْ ثَمَّ يحدد المعنى الوظيفي للفعل، فإذا وردت بنيّة الفعل منفردة فقد تحتمل عِدّة معان، أمّا إذا وردت في سياق معين فإنّها تفيد معنى معينا[41].

1.7 حد الفعل اللازم: الفعل اللازم عند علماء اللغة العربيّة هو الذي لا يتعدّى أثره فاعله، أو هو الذي لا يتجاوز أثره الفاعل إلى المفعول به، ويكتفي بمرفوعه[42] وقال سيبويه: «وهذا باب الفاعل الذي لم يتعدّه فعله إلى مفعول...أمّا الفاعل الذي يتعدّاه فعله فقولك: "ذهب زيد" و"جلس عمر"»[43].

2.7 علامات الفعل اللازم وطرق معرفته: ذكر علماء اللغة أنّ الفعل اللازم له طرق يعرف بها، وتتمثل في ما يلي[44]:

1.2.7 معنى الفعل، يحكم على لزوم الفعل إنْ دلّ على معنى مِنَ المعاني الآتيّة:

أ. أنْ يدلّ الفعل على سجيّة، أي طبيعة، ويقصد بأفعال السّجايا ما دلّ على معنى قائم بالفاعل لازم له[45]، نحو: "حَسُنَ، وقبح، وطال، وقَصُر، وقَوِيَ، ونَهِمَ: إذا كثر أكله، وشَجُعَ، وكَلُحَ، وابْيَضَّ"، أو حليّة، ويراد بها صفة مِنَ الصّفات التي يمتدح بها، حسيّة كانت أو معنويّة، نحو: "دَعُجَ، وكَحُلَ، وبَجُلَ"، أو عيب، نحو: "عَوِرَ وحَوِلَ، وعَمِشَ"، أو على نظافة، نحو: "طَهُرَ، ونَظُفَ، ووَضُؤ،"، أو على دنس نحو: "نَجُسَ، وقَذُرَ".

ب. أنْ يدل على مطاوعة لفعل متعدّ لفعل واحد، نحو: "ضاعفت الحساب فتضاعف" و"كسرت الزّجاج فانكسر" ودحرجت الشّيء فتدحرج" و"نعمته فتنعم" و"شققته فتشقق" و"مددته فامتد".

ت. أنْ يدل على عَرَض أي وصف غير ثابت فيه، نحو: "كَسِل، ونَشِط، وحَزِنَ وفَرِح، نَهِمَ: إذا شبع".

2.2.7 بنيّة الفعل (صيغته): من أشهر الصّيغ الدّالة على لزوم الفعل ما يأتي:

أ. صيغة (فَعُل) –بضم العين–نحو: ظَرُفَ، وشَرُفَ.

ب. صيغة (فَعَل) –بفتح العين–، أو (فَعِل) –بكسر العين، ووصفها على فَعِيل نحو: ذَلّ أو قَوِي.

ت. صيغة (انْفَعَل)، نحو: انْكَسَر، وانْطَلَقَ.

3.2.7 صيغة (افْعَلَّ)، نحو: اغْبَرَّ، وازْوَرَّ.

4.2.7 صيغة (افْعَالَّ)، نحو: ادْهَامَّ.

5.2.7 صيغة (افْعَلَلَّ)، نحو: اقْشَعَرَّ، واشْمَازَّ، واطْمَأَنَّ، وابْذَعَرَّ: أي تفوق.

6.2.7 صيغة (افْعَنلَل)، نحو: احْرَنْجَمَ.

7.2.7 ما لحق بافْعَلَلَّ، وافْعَنْلَلَ كاكْوَهَدَّ الفرخ: إذا ارتعدّ، واحْرَنْبَى الدّيك: إذا انتفش، واقْعَنْسَسَ الجمل: إذا امتنع أنْ يقادَ.

8.2.7 صيغة (تَفَعْلَلَ) نحوك تدحرج.

9.2.7 صيغة (استفعل) عند دلالتها على التحول، نحو: استخرج.

10.2.7 تضمين الفعل معنى فَعل لازم، وهو أنْ تُشْرَب كلمة لازمة معنى كلمة متعدّيّة، لتتعدّى تعدّيتها، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾ البقرة: 235، ضُمِّن الفعل "تعزموا" معنى "تنووا"، فَعُدِّي تعدّيته.

3.7 وسائل تعدّيّة الفعل اللازم إلى متعدّ: من وسائل تعدّيّة الفعل اللازم إلى متعدّ هي[46]:

1.3.7همزة التعدّيّة: وتسمى همزة النّقل، أي تنقل الفعل إلى مفعوله ويصير للفعل مفعولا به، فزيادة الهمزة في أوّل الفعل الثّلاثي المجرد يُحدث تغييرا في بنيته الصّرفيّة، نحو الفعل (ذهب) فزيادة الهمزة يتحول إلى بنيّة الثّلاثي المزيد بحرف، نحو (أذهب). كما يُحدث تغييرا في عمله، فبعد أنْ كان الفعل لازما صار متعدّيا، قال سيبويه: «فأكثر ما يكون على (فَعَلَ)، فإذا أردت أنْ تغيره أدخله في ذلك فيبنى الفعل منه على (أفْعَلْتُ)» [47]. فالفعل (ذهب) في قوله تعالى: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ البقرة: 17، فعل لازم، نجده يتعدّى إلى مفعول به بزيادة الهمزة في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الذي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ ﴾ فاطر: 34، ومن حيث البنيّة تحول الفعل من بنيّة (فَعَلَ) إلى (أفعل)، من حيث العمل فقد أصبح يرفع فاعلا وينصب مفعولا به.

2.3.7 تضعيف عين الفعل: تضعيف عين الفعل من الزّيادات التي تُحِدث تغييرا في البنيّة الصّرفيّة للفعل اللازم، إذ يتحول الفعل من الثّلاثي المجرد إلى مزيد بالتضعيف، كما يحدث تغييرا في عمله ومعناه، إذ يتحول من اللزوم إلى التعدّي ومنه قوله تعالى: ﴿هُوَ الذي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ يونس: 22، فالفعل (يسيّر) مضعف العين، وهذا التضعيف أثّر في البنيّة والإهمال والمعنى، ويتضح ذلك فيما يأتي:

- تحويل عمل الفعل (يَسِير) من الثّلاثي المجرد إلى الثّلاثي المزيد (يُسَيِّرُ) أي تحوله من بنيّة (فَعَلَ) إلى بنيّة (فَعَّلَ).
- تحويل عمل الفعل من الاكتفاء برفع الفاعل إلى نصب المفعول به، أي من اللزوم إلى التعدّيّة.
- تضعيف عين الفعل يدلّ على التكثير والمبالغة.

3.3.7 زيادة ألف المفاعلة: يتعدّى الفعل الثّلاثي المجرد اللازم بزيادة "ألف" بين الفاء والعين وتسمى ألف المفاعلة[48]، قال سيبويه: «اعلمْ أنك قلت: فاعَلْتُهُ فقد كان مِن غيرك مثل ما كان منك إليه حين قلت: فاعَلْتُهُ»[49].

إنّ زيادة ألف المفاعلة تُحدث تغييرا في البنيّة الصّرفيّة للفعل من بنيّة (فَعَل) إلى بنيّة (فَاعَلَ)، كما تحدث تحولا في العمل، حيث يتحول الفعل مِن اللازم إلى المتعدّي، نحو: (جالسّ) يتحول إلى (فَاعَلَ)، نحو: جالسّتُ العلماءَ، فالفعل (جلس) لا يتعدّى عمله إلى الفاعل، وبزيادة (ألف) المفاعلة تعدّى عمله إلى نصب المفعول به، كما تؤدي أيضا هذه الزّيادة إلى تَحَوّل في المعنى، إذ تجعل الفعل يفيد التشارك بين اثنين فأكثر، أي أنْ يفعل أحدهما بصاحبه فعلا، فيقابله الآخر بمثله، فتنسب الفاعليّة للبادئ والمفعوليّة للمقابل[50]، وقد تظل صيغة (فَاعَلَ) لازمة، نحو: (سَافَرَ) و(هاجَرَ)، أو متعدّيّة، نحو: سامَحَ الله التائبَ[51].

4.3.7 زيادة الهمزة والسّين والتاء: يزاد الفعل الثّلاثي المجرد اللازم بالهمزة والسّين والتاء في أوّله، ويصاحب هذه الزّيادة تغيير في البنيّة الصّرفيّة للفعل، وفي المعنى والعمل، ومن ذلك الفعل (استخرج) في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾ يوسف: 76، حيث زِيدَ على الفعل (خرج) ثلاثة أحرف، كما صاحبتها أمور متعدّدة هي:

– تغيير في البنيّة الصّرفيّة للفعل، إذ تحوّل الفعل الثّلاثي إلى مزيد بثلاثة أحرف؛

– التغيير في المعنى فقد تحوّل الفعل من الإخبار إلى الدّلالة على الطّلب؛

– التغيير في العمل، إذ تحوّل الفعل (خرج) من اللازم –نحو: خرج الطّالب من البيت–إلى المتعدّي (استخرج)، –نحو: استخرج المهندس المعادن من الأرض– واشترط النّحاة في ذلك دلالة الفعل على الطّلب، أو على النّسبة[52].

5.3.7 التضمين: وهو أنْ تشرب فعلا مكان فعل آخر، وإعطاؤه حكمه ليؤدي تأديّة ذلك الفعل، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾ البقرة: 235، ضُمِّن الفعل "تعزموا" معنى "تنووا"، فَعُدِّي تعدّيته، وأسباب التعدّيّة متعدّدة ونكتفي بما ذكر، إنها مرونة اللغة العربيّة وعبقريتها الفذة.

8. الميزان الصّرفي: لكل أهل صناعة معيار يقابلون به ما يعرض عليهم ممّا يدخل في صناعتهم، فللصائغ ميزان يعرف به صحة البضاعة من زيفها، وللبائع ميزان يعرف به زيادة البضاعة من نقصانها. ولمّا كان نظرُ علماء التصريف إلى الكلمة من جهة حروفها التي تتألف منها ليعرفوا أصالتها وزيادتها، ومن جهة هيأة هذه الحروف وضبطها على أيّة صورة كانت، اضطرهم ذلك إلى اتخاذ معيار من الحروف سموه بالميزان. ويذكر الصّرفيون أنّ صناعة التصريف شبيهة بالصّياغة فالصّائغ يصوغ من الأصل الواحد أشياء مختلفة، والصّرفي يحول المادة الواحدة إلى صور مختلفة، لذا احتاج الصّرفي في عمله إلى ميزان يعرف به عدد حروف الكلمة وترتيبها، وما تحتويه من أصول وزوائد وحركات وسكنات، وما طرأ عليها من تغيير كما احتاج الصّائغ إلى الميزان ليعرف به مقدار ما يصوغه[53].

1.8 السّر في اختيار أحرف (ف ع ل): لعل السّر في أنْ تكونت حروف الميزان من الفاء والعين واللام ما يأتي[54]:

1.1.8 أنّ لفظ (فَعَلَ) أعمّ جميع الأفعال، ويطلق على كل حدث، فيقال للشرب: فِعْل، وللأكل: فِعْل، يقول الله تعالى: ﴿وَالذينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ المؤمنون: 04 أي: مزكون، ويقول تعالى أيضا: ﴿أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ الأنبياء: 62 أي: حطمت هذه الأصنام.

2/ مخارج الحروف التي تولدت منها حروف الهجاء ثلاثة: الحلق، واللسان والشّفتان، فأخذ الصّرفيون الفاء من الشّفتين، والعين من الحلق، واللام من اللسان. وقد سمى الصّرفيون الحرف الأول فاءَ الكلمة، والحرف الثّاني عينَ الكلمة، والحرف الثّالثّ لامَ الكلمة.

2.1.8 كيفيّة الوزن: إذا كان الموزون ثلاثيا قوبلت أصوله بالفاء والعين واللام، فمثلا كلمة: (قلم) يرمز لكل حرف منها برمز يسمى به، فيسمى الأوّل فاء الكلمة، ويسمى الثّاني عين الكلمة، ويسمى الثّالثّ لام الكلمة. والتزموا في الميزان أنْ تقابل أحرفه بالحركات والسّكنات التي جاءت عليها أحرف الكلمة الموزونة نفسها ويتشكل بالشّكل الذي عليه هذه الكلمة من تقديم أو تأخير أو حذف أو غير ذلك.

ففي (كَتَبَ) وزنها (فَعَلَ) فلمّا كانت أحرف (كَتَبَ) الثّلاثة متحركة بالفتح، حركت أحرف الميزان الثّلاثة بالفتح أيضا[55].

3.1.8 أمور تراعى عند الوزن[56]:

أ/ الميزان الصّرفي يدخل الأسماء المتمكنة والأفعال المتصرفة، فلا توزن الحروف ولا الأسماء المبنيّة، ولا الأفعال الجامدة. والوزن يصور الموزون في الحركة والسّكون فمثلا: (شَكَرَ) فهي على وزن (فَعَلَ)، و(فَهِمَ) على وزن (فَعِلَ)، (شَرُفَ) على وزن (فَعُلَ).

ب/ إذا كانت الكلمة رباعيّة أو خماسيّة فإننا نزيد في الميزان لاما أو لامين على أحرف (فعل)، نحو: "دَحْرَجَ، وبَعْثَرَ، وهَرْوَلَ" فتوزن على: (فَعْلَلَ)، ونحو: جَعْفَرُ فتوزن على (فَعْلَلُ)، ونحو: "قَرَزْدَقُ وسَفَرْجَلُ" فعلى وزن (فَعَلَّلُ).

ت/ إذا كانت الزّيادة ناشئة عن تكرار حرف من أصول الكلمة، فإنّنا نكرر ما يقابله في الميزان، نحو: "قَدَّمَ، وأخَّرَ، وعَلَّمَ" فتوزن على وزن (فَعَّلَ).

ث/ إذ كانت الكلمة مزيدة بحرف أو أكثر من حروف الزّيادة المتمثلة في "أمان وتسهيل" فإنّنا نقابل الحروف الأصليّة بالفاء والعين واللام ثم نزيد الحروف الزّائدة في الميزان كما هي في مكانها. وعلى هذا تكون كلمة (أَشْرَفَ) على وزن (أَفْعَل)، وكلمة (سَامَحَ) على وزن (فَاعَلَ)، وكلمة (اِسْتَعْمَلَ) على وزن (اِسْتَفْعَلَ)، وكلمة (طَارِقٌ) على وزن (فاعِلٌ)، وكلمة (مَنْصُور) على وزن (مَفْعُولٌ)، وكلمة (عَلَّامٌ) على وزن (فَعَّالٌ)، وكلمة (اِسْتِكْبَار) على وزن (اسْتِفْعَالٌ)، وكلمة (تَعَلَّمَ) على وزن (تَفَعَّلَ).

ج/ إذ كان الزّائد مبدلا من تاء الافتعال نعبّر عنه تبعا للأصل، نحو: (اصطبر) فعلى وزن (اِفْتَعَل) لا (اِفْطَعَل).

خ/ إذا حصل قلب مكاني في الموزون حدث مثله في الميزان، نحو: (جَبَذَ) فعلى وزن (فَلَعَ)؛ لأنّ الكلمة مقلوبة عن (جَذَبَ).

د/ إذا حذف حرف من الكلمة الموزونة حذف ما يقابله في الميزان، وعلى هذا تكون كلمة (خُذْ) على وزن (عُلْ)، وكلمة (بِعْ) على وزن (فِلْ)، وكلمة (قُلْ) على وزن (فُلْ)، وكلمة (صِفَة) على وزن (عِلَة)...إلخ.

ذ/ إذا حصل قلب إعلالي في الموزون فإنّه لا يحصل مثله في الميزان؛ بل يبقى الميزان على حاله، أي أنَّ الكلمة توزن بحسب أصلها لا بحسب حالتها الموجودة نحو: (قَالَ) فتوزن على (فَعَلَ)؛ لأنّ أصلها (قَوَلَ)، وكذلك: (سما) فتوزن على (فَعَلَ)؛ لأنّ أصلها (سَمَوَ).

9. اللغة العربيّة تعطي زمام أمورها لغيرها: أبو الأسود الدّؤلي (ت69هـ) من المؤسّسين لعلم النّحو، حيث وضعه بإشارة من الإمام علي – رضي الله عنه – فألّف أبوابا في علم النّحو عصمة للسان من اللحن، وإنّ نهضة العلوم العربيّة بدأت مع رواد عرب، كان منْ أوائلهم الخليل بن أحمد (ت175هـ) حيث تم في عهده نضج علم النّحو، وهو صاحبُ أوّل معجم في العربيّة هو معجم العين، وواضع علم العَروض، وعاصره عالم آخر من علماء العربيّة الكبار هو يونس بن حبيب المتوفى 798م، وكان من أشهر رواة الشّعر من العرب الأصمعي، كل أولئك النّفَر من العلماء العرب برعوا تحت ظل الدّولة العباسيّة، وقد طلبَ العلم على أولئك من الرّواد جيل آخر كثير منه من غير العرب، مثل سيبويه وابن جني وغيرهما، وفدوا إلى حواضر الدّولة العباسيّة (بغداد والكوفة والبصرة) وبعضهم وُلِد ونشأ وترعرع بين العرب إلاّ أنّ أصوله غير عربيّة، وأسهموا في بناء الصّرح البديع للغة العربيّة ووضعوا قواعده وشيدوا بنيانه، مفارقة فريدة من نوعها ربما في التراث الإنساني بأكمله. إنّ الخليل بن أحمد هو العبقري الفذ الذي استكمل تنظير علوم اللغة العربيّة وإرساء قواعدها، لكن الفضل الأكبر يعود إلى تلميذه سيبويه (ت180هـ) الذي جمع هذه الأفكار ورتبها في مدونة تعارف أهل الفن بتسميتها بـ: (الكتاب) [57]، والنّحاة حينما يشيرون إلى الكتاب، فإنهم ينظرون إليه، وكأنّه «المعجزة» النّحويّة التي ليس لأحد أنْ يأتي بمثلها. وليس منْ شك أنَّ الكتاب ثروة علميّة فريدة، إذ أنْ جمع حصيلة قرن من ثمرات تفكير العلماء الذين سبقوه من أبي الأسود إلى الخليل.

ويتّفق معاصرو سيبويه أنّه كان أمينا في نقله ودقيقا في منهجه حتى أنّ يونس بن حبيب الضّبي وكان أحد شيوخه، لا يزال على قيد الحياة، فذهل من نسق كتابه وشرحه للنحو، والصّرف بطريقة علميّة، وأدبيّة جزلة، لَمَّا نظر في كتاب سيبويه قال: «يجب أنْ يكون هذا الرّجل قد صدق عن الخليل فيما حكاه كما صدق فيما حكى

عني»[58]. واعتمد المؤلف في كتابه أساسا على ما أخذه من الخليل حتى قيل عنه إنّه جمع ألف ورقة من علم الخليل، فتارة يذكره باسمه قائلا: «وزعم الخليل» ولفظة (زعم) لا تدل على التشكيك، وتارة يقول «وسألته» والإضمار هنا يدلّ على استمرار حضور الأستاذ في ذهن تلميذه، كما أنّه روى عن يونس بن حبيب الضّبي نحوا من مائتي مسألة، وعن أبي عمرو بن العلاء زهاء أربعين، و قرابة العشرين عن عيسى بن عمر، ونصفها عن ابن أبي إسحق الحضرمي، وروايته عن هؤلاء الثّلاثة أكثرها عن طريق يونس، واعْتُبِر كتاب سيبويه آيّة بين كتب النّحو، فيما جمعه من أخبار النّاس، وأقوالهم في النّحو حتى لقب بقرآن النّحو، وقال عنه أئمة النّحو إنّ من أراد أن يؤلّف كتابا في النّحو يضاهي به كتاب سيبويه فليستحي من نفسه[59]، ورغم أنّه مرّ على تأليف هذا الكتاب أكثر من ألف ومائتي عام، إلاّ أنّ كلَّ مَنْ حاول أنْ يؤلّف بعده كتابا في النّحو افتقر إليه، وقالوا إنّ سيبويه لم يفتقر في كتابه إلى أحد. هذا الكتاب شغل النّاس طيلة قرون، فيقال إنّ الفراء، وهو من خصومه، مات والكتاب تحت وسادته[60]. وكان أبو الطّيب اللغوي يسميه «قرآن النّحو»[61]، ويقول السّيرافي عنه: إنّه لم يسبق إلى مثله أحد قبله، ولم يلحق به من بعده [62]، وهذه إشارة إلى أهميّة الكتاب.

وهكذا انتهت حياة العلاّمّة وإمام النّحو، ذلك الفتى الذي كان لحنُه وخطؤه في القراءة سببا في تصميمه على تعلم العربيّة وأصولها، كانت تلك الانعطافة في حياته فتحا على علم النّحو والعربيّة بتأليف أوّل كتاب منهجي مقسّم إلى أبواب منسّقة، ذلك التنسيق والترتيب جعل الأديب الجاحظ يقول فيه: "لم يكتب النّاس في النّحو كتابا مثله، وجميع كتب النّاس عيال عليه[63].

وظهر الكتاب موسوعة في النّحو والصّرف واللغة إذ أنّه لم يقتصر على رسم أشكال وقوالب متحجرة، بل هو عرض يزخر بالأمثلة الحيّة، مبرزا الصّلة العضويّة بين النّظريات النّحويّة والاستعمالات اللغويّة، فأذن بانطلاق هذا الفن انطلاقة حرة أوحت إلى الذين جاءوا من بعده أن يسيروا في طرق متنوعة، فمنهم من ركز جهده على استخلاص القواعد الأساسيّة، وتثبيت عللها وقياساتها جاعلا من النّحو علما منطقيا مستقلا، ومنهم من حرص أنْ يستشف منه أسرار اللغة العربيّة وبيانها، وكلّ

مِن أولئك وهؤلاء يجد في الكتاب مرتكزا يستمد منه ما يريده، ولقد بلغ الإعجاب بدراسته أنَّ الجرمي ذكر أنّه ظل ثلاثين سنة يفتي في الفقه من كتاب سيبويه[64].

والعنايّة المتواصلة التي أولاها النّحويون لهذا الكتاب تعود إلى العوالم التاليّة:

1.9. وضعه التاريخي إذ أنّه أوّل ما وصل إلينا من المؤلّفات النّحويّة.

2.9. شموليته للمعارف النّحويّة، فهو موسوعة في النّحو والصّرف وأبنيّة الكلام العربي.

3.9. اتفاق معاصريه على أمانته في النّقل.

4.9 أسلوبه المتميز وإنْ كان في بعض الأحيان لا يخلو من تعقيد وغموض حتى أنّه احتاج إلى شروح كثيرة ما استطاعت كلها أن تستنفد جميع طاقات هذا المصنف.

ولأهميّة كتاب سيبويه تنافس العلماء في شرحه، لقد كان الأخفش الأوسط والمازني والجرمي والسّيرافي والأعلم والرّماني مِن بين الذين اجتهدوا في شرحه وتبيين نكته.

يعد هذا الكتاب أوّل كتاب نحوي وصل إلينا، وقد جمع فيه مصنفه عددًا من علوم العربيّة كالنّحو والصّرف والأصوات اللغويّة وغيرها، وقد أكثر فيه المصنّف من الاستشهاد بالقرآن الكريم وأشعار العرب والأمثال وكلام العرب الفصحاء للاحتجاج وإقأمّة الدّليل الصّحيح على كل مسألة، في حين قلّل من الاستشهاد بالحديث النّبوي الشّريف؛ نظرًا لما يدخل فيه من مسألة الحكم عليه بالصّحة والضّعف والرّوايّة بالمعنى.

فمن سيبويه الذي يعدّ كتابه دستور اللغة أوّل وأروع تدوين وتصنيف لقواعدها النّحويّة، إلى ابن جني الذي وضع نواة فقه اللغة، مرورا بالجرجاني مؤسّس علم البلاغة، وصولا للفيروزآبادي صاحب القاموس المحيط، كان العديد من جهابذة العربيّة من أصول غير عربيّة تنوعت بين الفارسيّة والرّوميّة وصولا إلى بربر المغرب العربي الذي نبغ فيهم ابن معطي الزّواوي صاحب أوّل ألفيّة قبل ألفيّة ابن مالك، وابن آجروم صاحب الآجروميّة، والجزولي صاحب مقدمة النّحو الشّهيرة. وهذا التنوع هو من سمات الازدهار الثّقافي الذي ميّز هذه الفترة، والاحتفاء بعلماء من أصول غير عربيّة ليس فيه انتقاص من مكانة العرب كعلماء، فعلى عكس ذلك، هو تأكيد على

انفتاح مناخ البحث والعلوم عند العرب، وهذا يمثل الغنى الحضاري للخلافة الإسلاميّة، الذي فتح المجال لكل الباحثين والعلماء بدون اعتبار لعرق أو أصل وهذه سمة نراها اليوم في أهم مراكز الأبحاث في العالم التي تسعى لإيجاد مناخ يستقطب كل المبدعين دون تمييز. وهنا لابد أنْ نذكر أنّ اللغة العربيّة وقتها كانت لغة الثّقافة والتواصل المشترك، كما هو حال اللغة الإنكليزيّة اليوم.

رحم الله سيبويه إمام النّحاة ذلك الفارسي الأصل صاحب الإرادة القويّة، إذ صهرته العربيّة فعلّم العرب قواعد لغتهم وضوابطها بعدما لحَنَ في مجلس حمّاد بن سلمة وعنّفه حمّاد، ثم عاد فارس الحلبة وكأنّ النّحو به بَدأ وبه خُتم.

10. لا خوف على العربيّة الفصحى: تعدّ اللّغة العربيّة لغةً خالدّةً، ولن تنقرض مع مرور الزّمن أبدا حسب دراسة لجامعة برمنجهام أُجريت للبحث في بقاء اللّغات من عدمه في المُستقبل، وتتميّز اللّغة العربيّة بالكثير من الميزات التي توجد في لغة الضّاد فقط ولا توجد في غيرها من اللّغات، الثّبات الحرّ من أكبر التّحديات التي واجهتها العربيّة هو ثباتها وانتصارها على عامل الزّمن والتطوّر، في حين أنّ اللّغات الأخرى مثل الإنكليزيّة قد تطوّرت واختلفت بشكل كبير عبر الزّمن.

لو كانت العربيّة ستنقرض لانقرضت في عصور الانحطاط، عندما أصبح الأدب زخرفة وتزويقا من دون معنى عميق أو فكر فتيق، وانزوت في دور العلم – آن ذاك– وما أقلّها!!!– ولانقرضت عندما خطط الأتراك لمصادرتها، وإحلال اللغة التركيّة مكانها، فيما يسمى بموجة التتريك، ولا نقرضت عندما خطط الاستعمار الفرنسي والاستعمار الإنجليزي لانقراضها، حتى ولقد وضع مهندس إنكليزي اسمه (وِلْ كوكس) كتابَ قواعدَ للهجة المصريّة العاميّة، محاولة منه وحَسَبَ مخطط مرسوم صرف النّاس عن الفصحى إلى العاميّة، ولا نقرضت والاستعمار الأمريكي الحالي يشجع بعض الشّيوخ، يغريهم الأصفر الرّنان للتحدث والشّرح والقص والتفسير باللهجات المحليّة إبعادا للناس عن الفصحى، وحجتهم أنّ العأمّة لا يفهمون الفصحى، وهذا كذب وبهتان؛ لأنّه لم يعدْ بعد انتشار وسائل الإعلام والاتصال الحديثة عأمّة أو عوامٌّ، بل أصبح النّاس حتى الأميّون مثقّفين، وإنْ كانوا أمّيّين؛ لأنّ

مهارة سماع الفصحى أصبحت ناميّة عند العوام عند رعاة الأغنام، وعند عمّال المزارع، والمعادن، حتى إذا سمع أحدهم نشرة الأخبار من المذياع عاد في المساء يقول لأهله ما سمع، وهي تذاع بالفصحى لا بالعاميّة[65]. علما بأنّ الفصحى دخلت اليوم كل بيت، ويفهمها كل عربي.

1.10 العربيّة عصيّة عن الزّوال: العربيّة عصيّة عن الزّوال للأسباب الآتيّة[66]:

1.1.10 يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الحجر: 09، وحفظ الذّكر لا يعني حفظه محنّطا بين دفتي كتاب، وإنما يعني تحقق مقاصده في الحياة، من حيث تنظيم الحياة، وذلك لا يكون إلا بقراءته وتفهمه، ولن يكون ذلك بغير العربيّة الفصحى؛ لأنّ روح العربيّة لا تتبدى إلا بالعربيّة، أمّا الترجمات فهي معانٍ بلا روح، ترجمات جسد فَقَدَ الحياة، لهذا فحِفْظ الله تعالى الذّكر (القرآن) حِفظ للعربيّة وبالعربيّة.

2.1.10 أنّ العربيّة الفصحى لغة إلهاميّة ألهمها الله تعالى العرب في شمال الجزيرة قبل الإسلام بقرابة مائتي سنة؛ فقد جعلها الله خالدّة الأصول، بحيث تُبنى عليها فروع، فلا تزول، ومن أدلة ذلك:

أ/ أنّه لم يوجد أثر قبل مائتي سنة من الإسلام فيه شِعْر فصيح أو نَثْر أو يتصل بالفصيح.

ب/ أنّها لغة اشتقاقيّة ذات أصول ثابتة في العربيّة، يمكن أنْ تولّد من الفعل (كتب) مائة كلمة عندما تستدعيها المعاني الجديدة، أمّا في الإنكليزيّة –فمثلا–(كتب وكاتب) لهما أصوات، و(مكتبة) لها أصوات أخرى، و(مكتب) له أصوات ثالثّة.

ت/ العربيّة يشتق من كل كلمة منها، ولو كانت حرفا، أمَا نقول: هُوّيّة من هو وعنعن من عن، وعن، وعن، واستحجر من (الحَجَر) وهي كلمة جامدة، بل نقول: تأوّه من –شبه الفعل–(آه).

ث/ وتتسم الفصحى بالخفة التي لا تتسم بها لغة أخرى، فلا تجمع حروفا في الكلمة الواحدة يعسر نطقها، ولا تُوالي بين حرفين ساكنين خلافا للإنكليزيّة التي تجمع حرفين بل ثلاثة حروف ساكنة متواليّة.

3.1.10 أنّ اللغة الوحيدة في العالم التي عاشت سبعة عشر قرنا، وما تزال حيّة بعد نضجها، هي العربيّة الفصحى. أمّا اللغات الأخرى فلا تعيش إلاّ خمسة قرون ثم تتحول إلى لغات أخرى، إنّ العربيّة الفصحى خالدّة كخلود القرآن.

4.1.10 نتيجة الأسباب الثّلاثة السّابقة فقد تجاوزت العربيّة كل المحن والمعوقات، وأصبحت إحدى اللغات العالميّة، وأضحت لغة أربع مائة مليون عربي وأكثر من مائة مليون مسلم متفرقين في العالم، وتجاوزت المحن والمعوقات بأن أصبح يصدر فيها كل سنة ما لا يقل –تقديرا –عن مائة ألف كتاب في موضوعات شتى، وفي كل شهر ما لا يقلّ عن خمس مائة مجلة، وفي كل يوم ما لا يقل عن ألف جريدة. على حين لم يكن عشر هذا يصدر بها قبل مائة وخمسين سنة. ومع ذلك لم تنقرض آن ذاك!

ومن خصائص اللغة العربيّة التي أتعرض إلى ذكرها بصفة إجماليّة: الترادف الذي يعتبر مظهرا من مظاهر اللغة العربيّة التي يطلقُ فيها عدّة ألفاظ للمعنى الواحد مثل العسل والشّهد، وأفضليّة اللغة العربيّة التي قال بها أحمد بن فارس في مؤلَّفه (الصّاحبي) في باب القول في أنّ لغة العرب أفضل اللغات وأوسعُها، وعلم العروض وهو العلم الذي ينظم أوزان الشّعر وبحوره، ويضع القواعد الرّئيسيّة لكتابة الشّعر، ممّا جعل الشّعر العربيّ هو الأكثر بلاغةً وفصاحةً نتيجةً لاتّباعه أوزانٍ مُحدّدة، وقواعدَ رئيسيّة. والتّخفيف وهو أنّ أغلب المُفردات في اللّغة العربيّة أصلها ثلاثيّ، ثم يأتي الأصل الرّباعيّ، ثمّ الخُماسيّ على التّرتيب في كثرة انتشاره في أصول المُفردات العربيّة.

11. خاتمة: كان الأجنبي أحد أهم الأسباب في عزوف التلميذ العربي منذ صغره عن اللغة العربيّة، بوصفها اللغة صعبة ولذلك ينصرف عنها وإلى أي لغة أخرى يعتقد أنّها أسهل منها، بالإضافة إلى صعوبة اللغة، أنّها لغة ميّتة ولغة مندثرة ولغة ليس لها وجود حضاري في الوقت الحاضر، وهي عاجزة عن مواكبة العصر ومسايرة متطلبات العلم، وذكرت لك أنّ هذه أحكام تلقى على أسماعنا غير صحيحة؛ لأنّها لم نجربها في التعليم الجامعي وفي علوم العصر.

انتشار المدارس الخاصّة لتعليم اللغات الأجنبيّة بشكل لافت في السّنين الأخيرة في الدّول العربيّة، هذا ما لا تطيقه دولة أخرى، لا بد من إعطاء اللغة العربيّة حقها أوّلا، محافظة على انتمائنا إلى هويتنا العربيّة. ألفاظ هذه اللغة فهي كيفما أردتها وكيفما تأملتها لا تعيب لها في نفسك ما دون اللذة الحاضرة والانسجام العذب، وأنّ طريقة نظمها تجري على استواء واحد، في تركيب الحروف.

1.11 التوصيّات: قيام المنظمة العربيّة بجمع الدّراسات السّابقة، ثم إنشاء دراسات جديدة، حول سبل النّهوض بالعربيّة، والإكثار من الترجمة من اللغات الأجنبيّة إلى العربيّة.

القيام بمخطّط تكاملي من طرف الدّول العربيّة، بحيث يصبح لكل دولة دورها ووظيفتها في هذا المخطّط التكاملي، فإنّ الأمّة ستشعر بعزتها وكرامتها، وستعتز بلغتها، وتمسي المباهاة باللغات الأخرى من الماضي التعيس، وستصبح أمّة محترمة بين الأمم لها قراراتها السّياسيّة، والاقتصاديّة، والأخلاقيّة، والإنسانيّة. وستصبح المقترحات الجزئيّة للدول العربيّة لَبنات في بناء لغوي قوي، وعندئذ سنسهم في بناء الحضارة، وصنع الإنسان الحر العادل الإنساني الأخلاقي المؤمن بالمساواة بين البشر، والمؤمن بالسّلام.

12. هوامش:

[1] أبو الفتح عثمان بن جني (ت 392ه)، سر صناعة الإعراب، تحقيق محمّد حسن محمّد حسن إسماعيل، وأحمد رشدي شحاتة عامر، الطّبعة الثّالثّة، دار الكتب العلميّة بيروت لبنان 226/1.

[2] أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبز المعروف بسيبويه (ت 180ه)، كتاب سيبويه تحقيق: عبد السّلام محمّد هارون، الطّبعة الأولى، مطبعة دار الجبل بيروت لبنان 433/1.

[3] يراجع: محمّد بن أحمد بن عبد الله المتولي (ت 1313ه)، رسالة الضّاد، ويليه كتاب أرجوزة في الفرق بين الضّاد والظّاء، محمّد بن أحمد الفروخي الأواني (ت 557ه)، الطّبعة الأولى سنة 2008م، مطبعة أولاد الشّيخ للتراث القاهرة مصر ص15.

[4]أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبز المعروف بسيبويه (ت 180هـ)، كتاب سيبويه،433/1.

[5] يراجع: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدّين عبد الرّحمن بن أبي بكر السّيوطي (ت 911هـ)، تحقيق أحمد شمس الدّين، الطّبعة الأولى 1418هـ - 1998م مطبعة دار الكتب العلميّة بيروت لبنان 450/3.

[6] يراجع: محمّد بن أحمد بن عبد الله المتولي (ت 1313هـ)، رسالة الضّاد، ص110.

[7] عبد الوهاب القرطبي (461هـ)، الموضح في التّجويد، تحقيق: غانم قدوري الحمد الطّبعة الأولى 1421هـ -2000م، مطبعة دار عمار عمان الأردن ص 78.

[8] يراجع: رسالة الضّاد ص111.

[9] يراجع: مجمع اللغة العربيّة، المعجم الوسيط، الطّبعة الرّابعة 1425هـ-2004م، مطبعة مكتبة الشّروق الدّوليّة القاهرة مصر ص 523، (حرف الضّاد).

[10] يراجع: الاعتماد في نظائر الظّاء والضّاد، الإمام جمال الدّين محمّد بن مالك الطّائي الجيائي (ت 672هـ)، تحقيق حاتم صالح الضّامن، الطّبعة الأولى 1424-2002م مطبعة دار البشائر دمشق سوريّة، ص 6-12.

[11] يراجع: همع الهوامع في شرح جمع الحوامع، 454/3.

[12] الموقع الألكتروني: مصطفى محمود، اللغة التي تكلم بها آدم -عليه السّلام-، بدون تاريخ، الرّابط: https://nektar.co.at/arab/?p=1301

[13] يراجع: شوقي حمادة، معجم عجائب اللغة العربيّة نوادر ودقائق ومدهشات علميّة تتضمن الألفاظ الدّخيلة على اللغة العربيّة، الطّبعة الأولى، مطبعة دار صادر بيروت لبنان سنة 2000م ص 23،24.

[14] يراجع: شوقي حمادة، معجم عجائب اللغة العربيّة نوادر ودقائق ومدهشات علميّة تتضمن الألفاظ الدّخيلة على اللغة العربيّة ص27.

[15] يراجع: شوقي حمادة، معجم عجائب اللغة العربيّة نوادر ودقائق ومدهشات علميّة تتضمن الألفاظ الدّخيلة على اللغة العربيّة ص27،28.

[16] أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق: محمّد علي النّجار، مطبعة دار الكتب المصريّة القاهرة، (د ط)، (د ت)36،37/1.

[17] يراجع: محمود عكاشة، التّحليل اللغوي في ضوء علم الدّلالة، الطّبعة الأولى، مطبعة دار النّشر للجامعات القاهرة مصر، سنة 1426هـ/ 2005م ص151.

[18] يراجع: أبو القاسم الزّجاجي (ت 337هـ)، الإيضاح في علل النّحو، تحقيق: مازن المبارك، الطّبعة السّادسة، مطبعة دار النّفائس بيروت لبنان1416هـ/1996م، ص69،70.

الإمام العلاّمّة أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، الصّاحبي في فقه اللغة العربيّة ومسائلها وسنن العرب في كلامها، علق عليه ووضع حواشيه أحمد حسن بسج، الطّبعة الأولى، مطبعة دار الكتب العلميّة بيروت لبنان، سنة 1414هـ 1997م ص66.

[20] كتاب سيبويه 13/1.

[21] عباس حسن، النّحو الوافي، الطّبعة الخامسة، مطبعة دار المعارف القاهرة بمصر 75/1.

[22] مها خير بك ناصر، النّحو العربي والمنطق الرّياضي، الطّبعة الثّانيّة، مطبعة المؤسّسة الجديدة للكتاب، سنة 2014م بيروت لبنان ص359.

[23] يراجع محمّد حماسة عبد اللطيف، العلاّمّة الإعرابيّة في الجملة بين القديم والحديث مطبعة دار الفكر العربي القاهرة ص169.

[24] أبو القاسم الزّجاجي (ت 337هـ)، الإيضاح في علل النّحو، ص76.

[25] يراجع: الإمام ابن هشام الأنصاري (ت761هـ)، أوضح المسالك إلى ألفيّة ابن مالك ومعه عدة السّالك إلى تحقيق أوضح المسالك، محمّد محيي الدّين عبد الحميد، مطبعة المكتبة العصريّة صيدا بيروت، سنة 1426هـ /2005م 37،38/1.

[26] أبو عبد الله بدر الدّين محمّد ابن الإمام جمال محمّد بن مالك، شرح ابن النّاظم على ألفيّة ابن ملك، تحقيق محمّد باسل عيون السّود، الطّبعة الأولى، مطبعة دار الكتب العلميّة بيروت لبنان، 1420هـ – 2000م ص 16.

[27] يراجع: أبو عبد الله بدر الدّين محمّد ابن الإمام جمال محمّد ابن مالك، شرح ابن النّاظم على ألفيّة ابن ملك، ص 17–32.

[28] يراجع: أبو عبد الله بدر الدّين محمّد ابن الإمام جمال محمّد بن مالك شرح ابن النّاظم على ألفيّة ابن ملك، ص 17–32.

[29] يراجع: عبد العزيز عتيق، المدخل إلى علم النّحو والصّرف، الطّبعة الثّانيّة، مطبعة دار النّهضة للطباعة والنّشر بيروت لبنان 1974م ص55.

[30] عبد القاهر الجرجاني، المفتاح في الصّرف، تحقيق: علي توفيق الحمد، الطّبعة الأولى مطبعة مؤسّسة الرّسالة بيروت 1987م، ص62.

[31] يراجع: أنيس فريحة، نظريات في اللغة، الطّبعة الأولى، مطبعة دار الكتاب اللبناني المكتبة الجامعيّة بيروت 1973م ص177.

[32] (بيار جيرو Pierre Guirraud)، علم الدّلالة، ترجمة منذر عياشي، الطّبعة الأولى مطبعة دار طلاس للدراسات والتّرجمة والنّشر، مكتبة الأسد دمشق 1992م، ص52.

[33] يراجع: خديجة الحديثي، أبنيّة الصّرف في كتاب سيبويه، مطبعة منشورات مكتبة النّهضة بغداد العراق 1964م، (د ط) ص247، وفرحات عياش، الاشتقاق ودوره في نمو اللغة مطبعة ديوان المطبوعات الجامعيّة الجزائر 1995م، (د ط)، ص 52.

[34] يراجع: فرحات عياش، الاشتقاق ودوره في نمو اللغة، ص 75.

[35] أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، 2/134،133، وأحمد بن محمّد الميداني (ت518هـ)، ويسريّة محمّد إبراهيم حسن، نزهة الطّرف في علم الصّرف شرح ودراسة الطّبعة الأولى، مطبعة المكتبة الأزهريّة للتراث، القاهرة مصر، (د س) 1/80،79، وفرحات عياش والاشتقاق ودوره في نمو اللغة، ص 75.

[36] أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، 2/136،135، وخديجة الحديثي، أبنيّة الصّرف في كتاب سيبويه ص 249.

[37] يراجع: ابن فارس، مقاييس اللغة، مطبعة الحلبي1366هـ،1/329،328، وخديجة الحديثي، أبنيّة الصّرف في كتاب سيبويه ص 250،249.

[38] محمّد سليمان ياقوت، في علم اللغة التّقابلي دراسة تطبيقيّة، (د ط)، (د ت)، مطبعة دار المعرفة الجامعيّة الإسكندريّة، ص 129، 130.

[39] يراجع: حسن عون، دراسات في اللغة والنّحو العربي، معهد البحوث والدّراسات العربيّة سنة 1969، ص 565 وما بعدها.

[40] يراجع: محمّد سليمان ياقوت، في علم اللغة التّقابلي دراسة تطبيقيّة ص 133.

[41] يراجع: عبد الصّبور شاهين، المنهج الصّوتي للبنيّة الصّرفيّة –رؤيّة جديدة في الصّرف العربي–الطّبعة الأولى، مطبعة مؤسّسة الرّسالة، بيروت لبنان 1400هـ/1980م، ص 13.

[42] يراجع: عبد الصّبور شاهين، المنهج الصّوتي للبنيّة الصّرفيّة –رؤيّة جديدة في الصّرف العربي–ص 13.

[43] أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبز (ت 180)، كتاب سيبويه، 33/1.

[44] أبو عبد الله بدر الدّين محمّد ابن الإمام جمال محمّد بن مالك، شرح ابن النّاظم على ألفيّة ابن ملك ص 178.

[45] أبو الحسن نور الدّين علي بن محمّد بن عيسى (ت 929ه)، شرح الأشموني على ألفيّة ابن مالك، تحقيق: حسن محمّد، الطّبعة الأولى، مطبعة دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان 1419ه/1998م 439/1.

[46] الشّيخ أحمد الحملاوي، شذ العرف في فن الصّرف، الطّبعة الأولى، مطبعة مؤسّسة الرّسالة، بيروت لبنان 1424ه/2003م 29،38.

[47] أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبز المعروف بسيبويه (ت 180)، كتاب سيبويه، 55/4.

[48] يراجع: أمين علي السّيد، في علم التّصريف، الطّبعة الثّالثّة، مطبعة دار المعارف بمصر1685م، ص 55.

[49] أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبز المعروف بسيبويه (ت 180ه)، كتاب سيبويه 64/4.

[50] يراجع: رضي الدّين محمّد بن الحسن الاستراباذي، شرح شافيّة ابن الحاجب، تحقيق إميل بديع يعقوب، الطّبعة الأولى، مطبعة دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان 1419ه/1998م 97،98/1.

[51] يراجع: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبز المعروف بسيبويه (ت 180ه)، كتاب سيبويه 68/4.

[52] يراجع: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبز المعروف بسيبويه (ت 180ه)، كتاب سيبويه 70/4.

[53] يراجع: خديجة الحديثي، أبنيّة الصّرف في كتاب سيبويه، ص 87.

[54] يراجع: أيمن أمين عبد الغني، الصّرف الكافي، مراجعة: عبده الرّاجحي وغيره، الطّبعة الأولى، مطبعة دار الكتب العلميّة بيروت لبنان 1421ه/2000م، ص 19.

[55] يراجع: خديجة الحديثي، أبنيّة الصّرف في كتاب سيبويه ص 88، وأيمن أمين عبد الغني، الصّرف الكافي، ص 19.

[56] يراجع: خديجة الحديثي، أبنيّة الصّرف في كتاب سيبويه ص 88-107، وأيمن أمين عبد الغني، الصّرف الكافي، ص 19،20.

[57] يراجع: كتاب سيبويه 20/1 من التّقديم.

[58] يراجع: أبو بكر محمّد بن الحسن الزّبيدي الأندلسي، طبقات النّحويين واللغويين، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، الطّبعة الثّانيّة، مطبعة دار المعارف القاهرة مصر (د س)، ص49 وكتاب سيبويه 19/1من التّقديم.

[59] يراجع: كتاب سيبويه 1/ 21 من التّقديم.

[60] بغيّة الوعاه، ص 130، كتاب سيبويه 22/1 من التّقديم.

[61] يراجع: أبو الطّيب اللغوي، مراتب النّحويين، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، ص65، وكتاب سيبويه 22/1 من التّقديم.

[62] يراجع: كتاب سيبويّة 20/1 من التّقديم، وموقع الانترنت: ثورت البطاوي، من سيبويه إلى ابن جني والزّمخشري...جهاذبة العربيّة ليسوا عربا، يوم الثّلاثاء 04 أفريل سنة: 1917م السّاعة:06:50 الرّابط: https://raseef22.com/article/97445.

[63] يراجع: مراتب النّحويين، ص65.

[64] يراجع: كتاب سيبويّة 24/1 من التّقديم.

[65] يراجع: عودة الله منيع القيسي، العربيّة الفصحى مرونتها-وعقلانيتها-وأسباب خلودها الطّبعة الأولى، مطبعة دار المعارف القاهرة مصر 2015م ص189،188.

[66] يراجع: عودة الله منيع القيسي، العربيّة الفصحى مرونتها-وعقلانيتها-وأسباب خلودها ص190،189.